مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

آيات الدخان. دراسة تفسيرية تحليلية في ضوء رأي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

الدكتور عبد الرحمن الصالح السليمان الدهش

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه – جامعة القصيم

Dhsh@qu.edu.sa

ملخص البحث:

عنوان البحث: آيات الدخان. دراسة تفسيريّة تحليليّة في ضوء رأي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

الباحث: د. عبد الرحمن الصالح السليمان الدهش.

تناول البحث تفسير الآيات الواردة في سورة الدخان، وتم بيان معنى الدخان في اللغة والقرآن، وذكر سبب نزول الآية، والأقوال التي وردت في معنى الدخان، ووقت الدخان المذكور في الآية، وتم إيراد الأقوال في المراد بالدخان، وتم بيان الغريب في تفسر الآية، وذكرت القواعد المتعلقة بتفسير هذه الآيات، ثم هدايات الآيات، وختم البحث بأهم النتائج، ثم فهرس للمواضيع.

الكلمات المفتاحية:

الدخان، قواعد، غريب، سبب، نزول.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

د. عبد الرحمن الصالح السليمان الدهش

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، فإن الله تعالى أنزل كتابه تبيانًا لكل شيء، وهداية للناس أجمعين، واختص الصحابة فكانوا هم المتلقين القرآن عن نبيهم، فهم وعاؤه الأول، أكرمهم الله بمعرفة نزوله، ومشاهدة تنزيله، مع ما هم عليه من الفهم التام، والعلم الصحيح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، فحالهم كما وصفهم مسروق بن الأجدع رضي الله عنه (ت ٦٢) بقوله: "لقد جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ[١]، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذ"[٢].

وقد كانت منزلة الصحابة في تفسير القرآن تلي منزلة تفسير القرآن بالسنة كما قال شيخ الإسلام (ت٧٢٨): (إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك)[٣].

وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت٣٢) له قِدْح مُعَلَّى في هذا المجال، فقد أدرك ما فات غيره، وكيف لا يكون كذلك وهو القائل: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)[٤].

لذا رأيت أن أنظر في مسألة تفسيرية اهتم لها ابن مسعود رضي الله عنه، وقال رأيه فيها بوضوح، واشتد إنكاره على من خالفه بتأييد رأيه، وإبطال رأي مخالفه، فجمعت فيها ما تيسر حول آيات سورة الدخان [١٠-١٦]، وما قيل فيها، وتبع ذلك مسائل تكميلية بما أرجو أن أكون قاربت وسددت .

---

(١) الإخاذ: بوزن: كتاب، وهو مجتمع الماء. ينظر: ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٨).

(٢) أخرجه ابن سعد: محمد بن سعد، في الطبقات (٢/٣٤٢-٣٤٣)، وابن أبي خيثمة: أبو بكر أحمد بن زهير، في كتاب العلم (٥٩)، وقال محققه الألباني: "إسناده صحيح".

(٣) ينظر: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير (ص٩٥).

(٤) أخرجه الطبري: محمد بن جرير، في تفسيره، وأشار إلى صحته (١/٧٤)، وقال الشيخ أحمد شاكر: "هذا إسناد صحيح. وهو موقوف على ابن مسعود، ولكنه مرفوع معنى، لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من رسول الله – فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير".

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

أهمية الموضوع

١- تتجلى أهمية الموضوع من حيث محاولة التوفيق بين رأيين مختلفين بين إمامين من أئمة التفسير من الجيل الأول .

٢- الوقوف على منهج السلف في التعامل مع الأقوال المختلفة في التفسير .

٣- تحقيق المعرفة الصحيحة بشيء مما جبلت النفوس على التطلع له وهو أمور المستقبل، وأشراط الساعة .

مشكلة البحث:

الحرج الذي يجده الباحث في ترجيح قول اختلف فيه صحابيان، مع اعتماد غالب الترجيح على جانب التأمل والنظر وربطه في جانب النقل والأثر .

الدراسات السابقة:

لم أجد من أفرد المسألة بالبحث بعد النظر في مظان ذلك، وغاية ما وجدت أن مسألة الدخان تبحث تبعاً في تفسير سورة الدخان، أو ضمن بحوث أشراط الساعة .

منهج البحث :

حاولت أن يكون البحث تأصيلياً للمسألة من حيث الوقوف على ما ورد حول الآيات محل البحث مع دراستها دراسة تحليلية .

خطة البحث:

جاء تقسيم البحث بعد التمهيد في التعريف بابن مسعود رضي الله عنه في ثمانية مباحث مقسمة كالآتي:

– المبحث الأول: تفسير الآيات من سورة الدخان.

المطلب الأول: بين يدي الآيات.

المطلب الثاني: الدخان في اللغة والقرآن.

– المبحث الثاني: سبب نزول الآيات.

– المبحث الثالث: الأقوال في المراد بالدخان.

– المبحث الرابع: وقت الدخان.

– المبحث الخامس: نوع الخلاف في المراد بالدخان.

– المبحث السادس: العجيب في تفسير الآيات.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

– المبحث السابع: إبراز بعض القواعد التفسيرية في هذه الآيات.

المطلب الأول: العام الذي أريد به الخصوص.

المطلب الثاني: الحقيقة مقدمة على المجاز.

المطلب الثالث: مراعاة السياق أصل معتبر في تفسير كلام الله تعالى .

المطلب الرابع: الفرق بين القول المجرد والقول المربوط بالآية.

– المبحث الثامن: من هدايات الآيات.

– الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

– فهرس المواضيع.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

التمهيد

التعريف بعبد الله بن مسعود رضي الله عنه

هو أبو عبد الرحمن، عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي المكي، أحد السابقين للإسلام، يقول رضي الله عنه : لقد رأيتني سادس ستة، وما على الأرض مسلم غيرنا![٥]

وهو أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم[٦].

وكان من خاصة النبي صلى الله عليه وسلم، يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : «مكثنا حينًا وما نحسب ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لكثرة دخولهم وخروجهم عليه»[٧].

وهو صاحب الوساد والسواك والنعل[٨].

قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يقرأ القرآن رطبًا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد»[٩].

---

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم: أبو بكر الشيباني، في الآحاد والمثاني (٢٣٨/١٨٧/١)، وابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي في صحيحه (٥٣٧/١٥/ ٧٠٦٢)، والحاكم: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، في المستدرك (٣٥٤/٣/ ٥٣٦٨)، وقال: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني، والبزار، ورجالهما رجال الصحيح".

(٦) أخرجه ابن حنبل: أحمد بن محمد، في فضائل الصحابة (١٥٣٥/٨٣٧/٢)، والفاكهي: في أخبار مكة (١٩٤٤/١٨١/٣).

(٧) أخرجه البخاري: محمد بن إسماعيل، في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٣٥/٥)، رقم (٣٧٦٣)، و ابن الحجاج: مسلم بن الحجاج النيسابوري، في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله تعالى عنهما (١٩١١/٤) رقم (٢٤٦٠).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٢٨/٥/ ٣٧٦١)، وابن حنبل: أحمد بن محمد، في المسند (٥٢٥/٤٥/ ٢٧٥٣٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٢٦/١).

(٩) أخرجه أحمد في المسند (٣٥/٢١١/١)، وابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق، في صحيحه (١١٥٦/١٨٦/٢)، والحاكم: محمد بن عبد الله الحاكم، في المستدرك (٢٤٦/٢/ ٢٨٩٣)، وقال: "الهيثمي: " فيه عاصم بن أبي النجود، وهو على ضعفه حسن، الحديث، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح". مجمع الزوائد (٢٨٨/٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

ولم يزل يترقى في العلم حتى قال مقولته المشهورة متحدثًا بنعمة الله: «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»(١٠).

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهل الكوفة: «إني قد بعثت إليكم عمارًا أميرًا وابن مسعود معلمًا ووزيرًا، وهما من النجباء من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، من أهل بدر، فاسمعوا لهما، واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي»(١١).

أثنى عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر بين أظهركم»(١٢).

ولما علم أبو الدرداء رضي الله عنه بوفاته قال: «ما ترك بعده مثله»(١٣).

وقال فيه حذيفة رضي الله عنه: «إن أشبه الناس دلاً وسمتًا وهديًا برسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه»(١٤).

توفي ابن مسعود رضي الله عنه سنة ٣٢هـ بالمدينة، عن بضع وستين سنة، ودفن بالبقيع.

والناظر في شخصية ابن مسعود رضي الله عنه لا يمكنه أن يغفل مَعْلمًا بارزًا في شخصيته يقدمه بكل اعتزاز لطلاب العلم، كيف وابن مسعود رضي الله عنه هو القائل: «فَإِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ مُقْتَدِينَ فَاقْتَدُوا بِالْمَيِّتِ؛ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةَ»(١٥)؟

---

(١٠) أخرجه البخاري: في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، (١٨٧/٦)، رقم (٥٠٠٢)، وينظر: الطبري: تفسير ابن جرير (٧٥/١).

(١١) أخرجه أحمد: في فضائل الصحابة (١٥٤٦/٨٤١/٢)، والطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد، في المعجم الكبير (٨٦/٩/ ٨٤٩٧)، والحاكم: في المستدرك (٤٣٨/٣/ ٥٦٦٣)، وقال: "صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ". ووافقه الذهبي.

(١٢) أخرجه البخاري: في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ميراث ابنة الابن مع بنت (١٥١/٨)، رقم (٦٧٣٦).

(١٣) أخرجه أحمد: في فضائل الصحابة (١٥٤٠/٨٤٠/٢)، والطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة، في شرح مشكل الآثار (٢٣٦/١٤/ ٥٥٩٥).

(١٤) أخرجه البخاري: في صحيحه، كتاب الأدب، باب في الهدي الصالح (٢٥/٨)، رقم (٦٠٩٧).

(١٥) أخرجه الطبراني: في المعجم الكبير (٨٧٨٣/١٥٢/٩)، والبيهقي: أحمد بن الحسين، في السنن الكبرى (٢٠٨٤٦/١١٦/١٠)، وأبو نعيم: في حلية الأولياء (١/ ١٣٦)، قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (١٨٠/١).

فلقد كان ابن مسعود رضي الله عنه مدرسة متكاملة في التحصيل قبل العطاء، وهذا واضح في مقولته السابقة: «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت».

وهو بهذا يتحدث بنعمة الله عليه، ويلفت النظر إلى من حوله ليأخذوا العلم عنه، وفي أثناء هذا كله يعطي درسًا في التزود من العلم وعدم الوقوف عند مرحلة معينة: «ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه».

ثم يتوج هذا كله بدفع الإعجاب بالنفس، وإظهار التواضع الصادق، يقول شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ رحمه الله: «خَطَبَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ، قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي الحِلَقِ أَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ، فَمَا سَمِعْتُ رَادًّا يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ»(١٦).

بقي أن تعرف أن ابن مسعود رضي الله عنه هو أكثر من رُوي عنه في التفسير من الصحابة، ولم يسبقه كثرة إلا تلميذُه ابن عباس رضي الله عنه الذي عاش بعده ستًا وثلاثين سنة(١٧).

وقد بث ابن مسعود رضي الله عنه فيما روي عنه شيئًا من علمه، وتبين من خلال ذلك كثيرٌ من فقهه، وعنايتُه بالسنة، واعتمادُه على القراءة في تفسيره، وله في كل ذلك طرقُه وأساليبُه العلمية والتعليمية، فرضي الله عنه(١٨)، ورضي الله عن الفاروق عمر حينما وصفه بأنه: «كُنَيِّف مُلِئ علمًا»(١٩).



(١٦) أخرجه البخاري: في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، (١٨٦/٦)، رقم (٥٠٠٠).

(١٧) ينظر: ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير (ص ٩٧).

(١٨) ينظر: الجريوي: زهرة، تفسير الصحابة، (١٦٤/١).

(١٩) الكنيف: هو الوعاء، وتصغيره للتعظيم. أراد أنه وعاء للعلم، ينظر: الأزهري: محمد بن أحمد، تهذيب اللغة (١٥٣/١٠)، أبو عبيد: القاسم بن سلام، غريب الحديث (١٦٩/١)، والأثر أخرجه مالك: في الموطأ (٦٠٧/٢٠٦)، وأحمد: في فضائل الصحابة (١٥٥٠/٨٤٣/٢)، وابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد، في المصنف (٣٢٢٣٦/٣٨٤/٦)، والطبراني: في المعجم الكبير (٩٧٥٦/٣٤٩/٩)، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح" (٣٠٣/٦). ينظر في ترجمة ابن مسعود رضي الله عنه: ابن الأثير، أسد الغابة (٣٨١/٣)، ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة (١٩٨/٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

د. عبد الرحمن الصالح السليمان الدهش

المبحث الأول:

تفسير الآيات من سورة الدخان

المطلب الأول: بين يدي الآيات:

تأتي الآيات محل الدراسة في النصف الأول من سورة الدخان المكية بالاتفاق، قال ابن عطية: (لا أحفظ خلافًا في شيء منها)(٢٠).

ولم يثبت استثناء شيء من آياتها، بداية من الآية العاشرة إلى الآية السادسة عشرة، قال تعالى:

﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الدخان: ١٠-١٦].

وسميت السورة بهذا الاسم سورة الدخان، أو سورة (حم الدخان) لورود كلمة (الدخان) في هذا المقطع، ولم يثبت أن لها اسمًا آخر(٢١).

وتسمية السورة بهذا الحدث – حدث الدخان - يدل على أهميته، وأنه أمر عظيم يستحق أن يقف معه قارئ السورة، سواء قلنا: إنه حدث مضى وانقضى، أو هو باق وحدث منتظر(٢٢)، اهتم له السلف ومن نزل عليهم القرآن حتى أمضى ابن عباس ليلة ساهرًا لم ينم حين رأى كوكبًا في السماء، يخشى أن يكون الدخان قد طرق! قال: فما نمت حتى أصبحت!(٢٣)

---

(٢٠) ينظر: ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز (٦٦١/٨)، وابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير (٢٧٥/٢٥)، والشايع: د. محمد، المكي والمدني (ص٧١).

(٢١) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير (٢٧٥/٥)، والشايع: أسماء سور القرآن (١٣٦).

(٢٢) سيأتي بسط الخلاف في ذلك.

(٢٣) أخرجه الحاكم: في المستدرك (٨٤١٩/٥٠٦/٤)، وقال" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه "، ووافقه الذهبي. والطبري: في تفسيره (١٩/٢١)، وابن كثير: إسماعيل بن عمر، في تفسيره وقال: "إسناده صحيح إلى ابن عباس" (٢٤٩/٧)، سيأتي تفصيل الكلام حوله.

وقد سطر العلماء الدخان في أحداث آخر الزمان، وعَدُّوه من علامات الساعة الكبرى(٢٤).

المطلب الثاني: الدخان في اللغة والقرآن:

الدخان: كغراب، ورُمَّان، كُدْرة في سواد(٢٥).

قال ابن فارس (ت: ٣٩٥) : (دَخَنَ: الدَّالُ وَالْخَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ عَنِ الْوَقُودِ، ثُمَّ يُشَبَّهُ بِهِ كُلُّ شَيْءٍ يُشْبِهُهُ مِنْ عَدَاوَةٍ وَنَظِيرِهَا، فَالدُّخَانُ مَعْرُوفٌ)(٢٦).

وفي تهذيب اللغة: (... قيل للجُوع: دُخانٌ، لِيُبس الأَرْض فِي الجَدْب وارتفاعِ الغُبار ... فَشَبَّهَ غُبْرَتَها بالدُّخانِ. وَمِنْه قيل لِسَنَةِ الْمجَاعةِ: غَبْرَاءُ – وجُوعٌ أَغْبَرُ.

وَرُبمَا وضعت العَرَبُ الدُّخانَ مَوضِع الشَّرِّ إِذا علا، فَيَقُولُونَ: كَانَ بَيْننَا أمرٌ ارْتَفع لَهُ دُخَانٌ)(٢٧).

قلت: وقد وردت كلمة الدخان في كتاب الله مرتين، ففي سورة فصلت قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ ﴾، وفي سورة الدخان: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ وإذا تقرر المعنى اللغوي السابق لهذه المادة فهي في كلا الموضعين على جهة التشبيه، إذ ليس ثمة نار ينسب إليها، وقيل: بل هو دخان حقيقي، وما ذكر في بداية الخلق في آية فصلت، تعود إليه الحال يوم القيامة في آية الدخان وفي قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام)(٢٨).

قال الألوسي (ت١٢٧٠): (يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ، أي: يوم تأتي بجدب ومجاعة؛ فإن الجائع جدًّا يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان، وهي ظلمة تعرض للبصر لضعفه فيتوهم ذلك، فإطلاق الدخان على ذلك المرئي باعتبار أن الرائي يتوهمه دخانًا، ولا يأباه وصفه ب(مبين)، وإرادة الجدب والمجاعة منه مجاز من باب ذكر المسبَّب وإرادة السَّبب، أو لأن الهواء يتكدر سنة الجدب بكثرة الغبار لقلة الأمطار المسكنة له، فهو كناية عن الجدب، وقد فسر أبو عبيدة (ت٢٠٩) الدخان به)(٢٩)، وقال

---

(٢٤) ينظر مثلاً: السفاريني: محمد، لوامع الأنوار البهية (ص١٢٨)، والوابل: يوسف، أشراط الساعة (ص٣٨٣).

(٢٥) ينظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (دخن) (١١٩٥/١).

(٢٦) ينظر: ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة (٢/ ٣٣٦)، وابن منظور: لسان العرب (١٣/ ١٤٩).

(٢٧) ينظر: الأزهري: تهذيب اللغة (٧/ ١٢٧).

(٢٨)ينظر: الألوسي: روح المعاني (١١٨/٢٦)، تفسير سورة فصلت، د: محمد صالح (ص١٩)، وسيأتي مزيد بيان في أثناء البحث إن شاء الله.

(٢٩) ينظر: الألوسي: روح المعاني (١٣/ ١١٦)، وأبو عبيد: مجاز القرآن (٢٠٨/٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

القتبي (ت٢٧٦): (يسمى دخاناً ليبس الأرض حتى يرتفع منها ما هو كالدخان، وقال بعض العرب: نسمي الشر الغالب دخاناً، ووجه ذلك بأن الدخان مما يتأذى به فأطلق على كل مؤذ يشبهه، وأريد به هنا الجدب، ومعناه الحقيقي معروف)(٣٠).

قال في المفردات: (الدّخان: المستصحب للهيب.

وفي قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ [سورة فصلت: ١١].

أي: هي مثل الدّخان، إشارة إلى أنه لا تماسك لها)(٣١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨): (وَأَهْلُ الْمِلَلِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَخَلَقَ ذَلِكَ مِنْ مَادَّةٍ كَانَتْ مَوْجُودَةً قَبْلَ هَذِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الدُّخَانُ الَّذِي هُوَ الْبُخَارُ كَمَا قَالَ تَعَالَى:: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ [سورة فصلت:١١].

وَهَذَا الدُّخَانُ هُوَ بُخَارُ الْمَاءِ الَّذِي كَانَ حِينَئِذٍ مَوْجُودًا كَمَا جَاءَتْ بِذَلِكَ الْآثَارُ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَكَمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْكِتَابِ) (٣٢)



(٣٠) ينظر: ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم، تفسير غريب القرآن (ص ٣٤٦).

(٣١) ينظر: الراغب الأصبهاني: المفردات في غريب القرآن (ص٣١٠).

(٣٢) ينظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٥/ ٥٦٤).

جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

المطلب الثالث: المعنى الإجمالي للآيات

قال تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦ ﴾ [سورة الدخان: ١٠-١٦].

يبتدئ هذا المقطع بفاء التفريع التي تستدعي النظر إلى ما قبلها، وأي شيء فرعت الآية عليه، فالآية التي قبل ذلك هي قوله تعالى: ﴿ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ٩ ﴾ [سورة الدخان: ٩].

إنه موقف اللعب في زمن الجد، هذا الموقف الذي سجله الله على هؤلاء المشركين في مقامات متعددة؛ ولذا جاء الأمر الصريح لنبيه ﷺ بالانتظار (فارتقب) من (رقبه)، إذا انتظره)[٣٣]، وهذا مع ما فيه من التثبيت للنبي ﷺ وعدم التأثر من موقفهم، هو متضمن تهديدًا وإزعاجًا لهؤلاء اللاعبين، وأنهم عما قريب سيفجؤهم دخان لا قبل لهم به، بحيث يغشاهم على جهة العذاب لهم، والعقوبة العاجلة، حتى يقال لهم، أو يقول بعضهم لبعض معترفين باستحقاقهم للعقوبة: هذا عذاب أليم!

ثم يتضرعون بدعاء الله طالبين كشف ما حل بهم، أو يوشك أن يحل بهم بعد انعقاد سببه وأنهم على الإيمان، وهو إيمان ضرورة أملته عليهم الشدة، وإلا فهم على غير ذلك، ولذا قال بعدها: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ [سورة الدخان: ١٣]، أي: التذكر والاتعاظ وحالهم أنهم تولوا عن رسولهم المبين، وقالوا عنه: إنه معلَّمٌ هذا الكلامَ الذي يتلوه، وأنه مجنون!

ثم أخبر الله تعالى عنهم أنه سوف يكشف عنهم العذاب قليلاً، وأنهم عائدون إلى كفرهم وشركهم[٣٤]، ثم توعدهم بالبطشة وأنها بطشة انتقام كبرى، وهذا لا يتحقق إلا في يوم القيامة[٣٥].



(٣٣) وقيل: بل هو بمعنى: احفظ، أي: احفظ يا محمد لتشهد عليهم. ينظر: الماوردي: النكت والعيون (٢٤٧/٥).

(٣٤) قال قتادة: عائدون إلى عذاب الله. ينظر: ابن جرير: تفسير ابن جرير (جامع البيان) (٢٤/٢١)، وابن عطية: المحرر الوجيز (٦٦٧/٨)، قال الألوسي (ت١٢٧٠): "وهو خلاف الظاهر جدا " ينظر روح المعاني (١١٩/٢٥).

(٣٥) وهو قول ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة خلافًا لقول ابن مسعود وأبي بن كعب ومجاهد وروي عن ابن عباس أيضًا أنه يوم بدر وهو اختيار ابن جرير (٢١، ٢٠)، قال ابن سعدي: عبدالرحمن بن ناصر (١٦٢٥/٤): وفي هذا القول نظر ظاهر، قال ابن كثير: "الظاهر أن ذلك يوم القيامة، وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضًا". ينظر: تفسير ابن كثير (٥٩٥/٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

د. عبد الرحمن الصالح السليمان الدهش

المبحث الثاني:

سبب نزول الآيات

اختلف العلماء -رحمهم الله – في المراد بسبب النزول، قال السيوطي (ت٩١١): (والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه)[٣٦].

وفي مناهل العرفان نجد الأمر أكثر بسطًا في التعريف، فيقول الزرقاني (ت ١٣٦٧): (حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال)[٣٧].

ويلحظ في هذين التعريفين، وفي غيرهما مما لم أنقله: الاتفاق أن هناك أمرًا وقع، تسبب على إثره نزول شيء من القرآن.

وبين الشيخ الدكتور خالد المزيني – حفظه الله – بعد التتبع والاستقراء أن هذا الأمر إما أن يكون قولاً أو فعلاً، وخلص إلى التعريف المختار عنده، وهو: (**كل قول أو فعل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه**)[٣٨].

ثم هل لسبب النزول صيغة محددة؟ وهل هي على درجة واحدة في دلالتها على سبب النزول؟ أو منها ما هو صريح، ومنها غير صريح كما هو التقسيم المشهور الذي اعتمده الزرقاني نظريًا وصار عمدة لمن بعده.

هذا بحث يُطلب في غير المقام بعد معرفة أن أكثر صيغ سبب النزول الواردة هي صيغة: (فأنزل الله، أو فنزلت)، ومع ذلك بعد التحقيق هما صيغتا نزول -أفادتا نزول ما ذكر-، وليستا نصًا في سبب النزول، وبينهما فرق لا يخفى عند التأمل.

وبعد هذا نعود إلى الآيات موضوع البحث، وما جاء من الروايات حولها، ففي الصحيحين: عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللهِ رَجُلٌ فَقَالَ: تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلاً يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، يُفَسِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ**﴾ [الدخان: ١٠] قَالَ: يَأْتِي النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُخَانٌ، فَيَأْخُذُ بِأَنْفَاسِهِمْ حَتَّى يَأْخُذَهُمْ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ: اللهُ أَعْلَمُ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا، أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ

---

(٣٦) ينظر: السيوطي: جلال الدين، لباب النقول (ص ١٤).

(٣٧) ينظر: الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٩٩).

(٣٨) ينظر: المزيني: المحرر في أسباب النزول (١/١٠٥).

فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ، وَحَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَغْفِرِ اللهَ لِمُضَرَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، فَقَالَ: لِمُضَرَ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ! قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الدخان: ١٥].

قَالَ: فَمُطِرُوا، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمُ الرَّفَاهِيَةُ، قَالَ: عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الدخان: ١٠-١١] ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان: ١٦] قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ)[٣٩].

والملاحظ في هذا السياق: التصريح بلفظ (الإنزال) في موضعين، وهو أحد ألفاظ الحديث في الصحيحين وغيرهما، وأكثر الروايات بلفظ (فقرأ)؛ ولذا قال بعضهم: إن التصريح بلفظ النزول شاذ، خالف فيه أبو معاوية محمد بن خازم غيره من الرواة[٤٠].

هذا من حيث الرواية أما من حيث الدراية فإن اعتباره سبب نزول الآية ينبني على الراجح في المراد بالدخان –كما سيأتي–، فإن قلنا بما قال به ابن مسعود: إن الدخان هو ما حصل لكفار قريش، فاعتبار ما ذكر سببًا لنزول الآيات لا مانع منه؛ لتوافق معاني الآيات مع ما حصل، سواء قلنا بصحة رواية (فنزل)، أو (فقرأ) ونحوها من الألفاظ على ما سبق أن سبب النزول: **(هو كل قول أو فعل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه)**.

وأما على القول بأن الدخان هو ما يكون في آخر الزمان –كما هو رأي ابن عباس رضي الله عنه– **فليس للآيات سبب نزول؛ إذ لم يقع به**، أي: بسببه.

ويوجه ما ذهب إليه ابن مسعود رضي الله عنه أنه نزَّل الآيات على ما حدث لأهل مكة من القحط حتى بدا لهم من شدة ما يجدون دخان من السماء بما يسمى في وقتنا الحاضر بالإسقاط، والإسقاط عمل اجتهادي منه ما يصح، ومنه ما يكون الراجح خلافه، ومنه ما يُرَدُّ، وابن مسعود رضي الله عنه إنما قاله باجتهاده، وليس في شيء من الروايات رفعه إلى النبي ﷺ، وعذر ابن مسعود

---

(٣٩) أخرجه البخاري: في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١١](١٣١/٦)، رقم (٤٨٢١)، ومسلم: في صحيحه، كتاب صفة القيمة والجنة والنار (٢١٥٦/٤)، رقم (٢٧٩٨).

(٤٠) ينظر: المزيني: أسباب النزول (٨٧٤/٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

رضي الله عنه في هذا التنزيل التشابه الكبير بين ما صورته الآيات وما حصل لأهل مكة، ولهذا اشتد نكير ابن مسعود على هذا القاص، قال ابن كثير (ت٧٧٤): (ومن هنا تسلط عليه ابن مسعود في الرد)[٤١].



(٤١) ينظر: ابن كثير: إسماعيل بن عمر، النهاية في الفتن والملاحم (١١٥).

جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

المبحث الثالث:

الأقوال في المراد بالدخان

أجل مباحث هذه الآيات هو تحقيق القول في المراد بهذا الدخان الذي أُمر النبي ﷺ بانتظاره على جهة التهديد والوعيد لكفار قريش ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾، والخلاف قديم -كما عرفت -، عمدتُه ركنا التفسير: ابن مسعود، وتلميذه ابن عباس رضي الله عنهما، وإن كان مرويًّا عن غيرهما.

ويمكن إجمال الخلاف في المراد بالدخان في قولين: أنه وقع، وقيل: لم يقع، وتفصيل ذلك.

القول الأول: أن الدخان قد وقع وانتهى أمره، وهو ما بينه ابن مسعود رضي الله عنه بقوله: «إِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَؤُوا عَنِ الإِسْلَامِ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا، وَأَكَلُوا المَيْتَةَ وَالعِظَامَ، وَيَرَى الرَّجُلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، جِئْتَ تَأْمُرُنَا بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ، فَقَرَأَ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥] أَفَيُكْشَفُ عَنْهُمْ عَذَابُ الآخِرَةِ إِذَا جَاءَ ثُمَّ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [الدخان: ١٦]: يَوْمَ بَدْرٍ»[٤٢].

ويلحظ في هذا القول اعتماد ابن مسعود رضي الله عنه في قوله هذا على أمرين: **الأول**: توافق ما ذكر في الآية مع ما حصل لكفار قريش.

الثاني: أنه يدفع القول الثاني الذي يرى أن ذلك في الآخرة، وأنه لم يقع بعد، بأن سياق الآية لا يتناسب معه، فعذاب الآخرة لا يكشف إذا وقع بأهله، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ﴾ [سورة الدخان: ١٥].

وقد ذهب إلى قول ابن مسعود هذا ابن جرير (ت٣١٠)، وأضاف إلى **سياق الآية سباقها** – بالموحدة، وهو ما تقدمها من الآيات -[٤٣] فقال: (وَإِنَّمَا قُلْتُ: الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ هُوَ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- تَوَعَّدَ

---

(٤٢) أخرجه البخاري: في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الروم (١١٤/٦)، رقم (٤٧٧٤)، ومسلم: في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (١٢٥٦/٤)، رقم (٢٧٩٨).

(٤٣) ينظر: الكفوي: الكليات (ص ٥٠٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

بِالدُّخَانِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَأَنَّ قَوْلَهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قال تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ ﴾ [سورة الدخان: ١٠] فِي سِيَاقِ خِطَابِ اللَّهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، وَتَقْرِيعِهِ إِيَّاهُمْ بِشِرْكِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ٩ ﴾ [الدخان: ٨–٩] ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ قَوْلَهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ ﴾ [الدخان: ١٠] أَمْرًا مِنْهُ لَهُ بِالصَّبْرِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُهُ، وَتَهْدِيدًا لِلْمُشْرِكِينَ، فَهُوَ بِأَنْ يَكُونَ -إِذْ كَانَ وَعِيدًا لَهُمْ- قَدْ أَحَلَّهُ بِهِمْ أَشْبَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَخَّرَهُ عَنْهُمْ لِغَيْرِهِمْ)(٤٤).

وهو قول مجاهد، وأبي العالية، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وعطية العوفي(٤٥).

واقتصر الفراء والزجاج على هذا القول(٤٦)، واختاره ابن عطية(٤٧)، وابن عاشور(٤٨).

القول الثاني: أنه لم يقع، ولا يزال محل انتظار.

وعمدة هذا القول ابن عباس رضي الله عنه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: غَدَوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: «مَا نِمْتُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ»، قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ: «قَالُوا: طَلَعَ الْكَوْكَبُ ذُو الذَّنبِ، فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الدُّخَانُ قَدْ طَرَقَ، فَمَا نِمْتُ حَتَّى أَصْبَحْتُ»(٤٩).

والقائلون بهذا القول اعتمدوا ألفاظ الآيات محل البحث، فقالوا: إن الله تعالى وصف الدُّخان بأنه (مبين، يغشى الناس)، **وهذا لا يتحقق على ما ذهب إليه ابن مسعود** رضي الله عنه.

---

(٤٤) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٢١).

(٤٥) تنظر أقوالهم في: تفسير ابن جرير (٢١/١٧، ١٨)، تفسير ابن كثير (٦/٥٩٢).

تنبيه: في تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) (٢٧/ ٢٤٢): "وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ"، قلت: ما أدري ما مصدره! وكذا نسبه إلى ابن عباس أبو السعود. ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/٥٥٥).

(٤٦) ينظر: الفراء: معاني القرآن (٣/٣١٦)، والزجاج: معاني القرآن (٤/٤٢٤).

(٤٧) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز (٨/٦٦٥).

(٤٨) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير (٢٥/٢٨٧).

(٤٩) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٠٦)، وابن جرير في تفسيره (٢١/١٩)، وعزاه ابن كثير (٦/٥٩٤) إلى ابن أبي حاتم، وقال: "وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ حَبْرِ الْأُمَّةِ وَتُرْجُمَانِ الْقُرْآنِ".

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): (مبين، أَيْ: بَيِّن وَاضِح يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ. وَعَلَى مَا فَسَّرَ بِهِ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه إِنَّمَا هُوَ خَيَالٌ رَأَوْهُ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنْ شَدَّةِ الْجُوعِ وَالْجَهْدِ!

وَهَكَذَا قَوْلُهُ: (يَغْشَى النَّاسَ) أَيْ: يَتَغَشَّاهُمْ ويَعُمهم، وَلَوْ كَانَ أَمْرًا خَيَالِيًّا يَخُصُّ أَهْلَ مكة المشركين لما قيل فيه (يغشى الناس))[٥٠].

وقد أنكر الرازي (ت ٦٠٦) على من جعل الآية في الدخان الذي وقع لقريش، ووصفه بأنه مسلك على خلاف الظاهر، وارتكاب للمجاز وعدول عن الحقيقة من غير دليل[٥١].

قلت: وما دمنا مع ألفاظ الآية فالواقع أن الدلائل اللفظية موجودة للقول الأول بما قد أقول: إنه أوضح من دلالاتها للقول الثاني، وبيانها كالآتي:

١. بداية الآيات أمر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر والانتظار لما يحل بهؤلاء المعاندين الذين هم في شك يلعبون، فهذا أبلغ تأييدًا للنبي الذي كذبه قومه، وأشد تهديدًا لمن كذبوا رسولهم، ولا يكون ذلك لو حَملت الدخان على ما يكون في آخر الزمان، وقد علم الله أن هؤلاء لا يدركونه، ولا أجيالهم القريبة.

٢. قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الدخان: ١٢] مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة الدخان: ١٥] فهذا منطبق تمامًا مع ما حصل من الدخان الذي أصاب قريشًا، وهو عمدة ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير الآية -كما تقدم-، ويزيده وضوحًا.

٣. أن الذين تولوا عن الرسول وقالوا عنه: ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ هم كفار قريش، بخلاف الذين يغشاهم دخان آخر الزمان، فالمذكور في حالهم الكفر العام، والمخالفة العامة فقط.

وبهذا يتبين أن ألفاظ الآية أسعد بها من قال: بأنه الدخان الذي حصل لكفار قريش دون من قال: إنه دخان آخر الزمان.

---

(٥٠) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٤٩).

(٥١) ينظر: الرازي: محمد بن عمر، مفاتيح الغيب (٢٤٢/٢٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

ثم بعد هذا فالذين ذكروا أن هذا في آخر الزمان يذكرون أحاديث الدخان، وأنه منتظر، وهذا حق لا إشكال فيه، ولكن لا يستقيم أن تجعل دلائل على ترجيح أن الدخان في آية الدخان هو الدخان المذكور في الأحاديث، فهذا شيء، وما نحن فيه شيء آخر، وليس بينهما توافق إلا أن كلاً منهما يسمى دخانًا، وشتان بينهما! فالإشكال إذن في إسقاط (تنزيل) آيات سورة الدخان على الدخان الذي يكون في آخر الزمان، مع ما بينهما من تغاير الزمان والمكان والأحكام!

وهذا هو الذي اشتد نكير ابن مسعود رضي الله عنه على قائله، وغضب من أجله.

إذن هما دخانان: أحدهما: وقع وهو المذكور في سورة الدخان، والآخر: لم يقع، وليس له ذكر في القرآن، وإنما دليله في السنة.

وإذا تقرر هذا فالقائلون بالقول الأول والقائلون بالقول الثاني كل منهم لا مانع أنه يقول بوقوع دخانين، وابن مسعود رضي الله عنه لما رد القول الذي نقل إليه، وغضب على إثر ذلك، هو غضب في تنزيل الآية على دخان آخر الزمان، وليس ردًّا لوقوع الدخان في آخر الزمان، فهو لم يتعرض له، ولا أظن أن ابن مسعود رضي الله عنه قد خفي عليه دخان آخر الزمان، أو أنه لا يقول به!

وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنهما دخانان، قال مجاهد (ت ١٠٤): كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: هما دخانان، قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر فتثقب مسامعه، فتبعث مسامعه، فتبعث عند ذلك الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى شرار الناس[٥٢].

قال مرعي الكرمي الحنبلي (ت١٠٣٣): (كلامُ ابن مسعود موافق لظاهر الآية ... على أنه ورد عن ابن مسعود أنه كان يقول: هما دخانان ...)[٥٣].

قال الألوسي (ت١٢٧٠): (ولا أظن صحة هذه الرواية عنه)[٥٤].

قلت: ولم أقف على الرواية المشار إليها عن ابن مسعود رضي الله عنه، ومجاهد أيضًا لم يسمع من ابن مسعود[٥٥].

---

(٥٢) ينظر: القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص١٢٦٧).

(٥٣) السفاريني: محمد بن أحمد، البحور الزاخرة في علوم الآخرة (٢/ ٦٧٩)، السفاريني: محمد بن أحمد، لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٣١).

(٥٤) ينظر: الألوسي: روح المعاني (١١٧/١٣).

(٥٥) ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب (٤٢/١٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

وكذلك ما ورد **عن ابن عباس،** فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: غَدَوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: «مَا نِمْتُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ». قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ: «قَالُوا: طَلَعَ الْكَوْكَبُ ذُو الذَّنَبِ، فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الدُّخَانُ قَدْ طَرَقَ، فَمَا نِمْتُ حَتَّى أَصْبَحْتُ»(٥٦).

فغاية ما فيه -كما ترى - إثبات دخان يكون في آخر الزمان، وقد خشي أن يكون جاء وقته في تلك الليلة التي رأى فيها الكوكب، وليس في سياق القصة تعريج على آيات سورة الدخان.

ولهذا فالقول بأن رأي ابن عباس أن الدخان -في سورة الدخان- هو ما يكون في آخر الزمان، ويجعل قولاً مقابلاً لقول ابن مسعود رضي الله عنه فيه نظر ظاهر، لا أدري ما عمدته!

وقد استوقفني هذا كثيرًا، وكنت قد سطرت غير ذلك موافقة لكثير من أهل التفسير، ولصاحب المحرر في أسباب النزول(٥٧) من اعتبار ابن عباس يفسر آيات الدخان بدخان آخر الزمان مستدلين برواية ابن أبي مليكة عن ابن عباس السابقة، والأمر كما ترى في الرواية.

ثم إني رأيت بعد ذلك أن ما قيل حول ما روي عن ابن عباس قد يقال أيضًا حول ما روي عن غيره، فالذين ذكرهم ابن جرير ممن قالوا بأن الدخان آية من آيات الله لم يأت بعد - (وهم: ابن عمر، وابن عباس وتقدم ما روى عنه، والحسن البصري، وأبو سعيد الخدري، وحذيفة، وأبو مالك الأشعري، والأخيران ما روي عنهما هو مرفوع إلى النبي ﷺ)- **لم يرد في رواياتهم ربط هذا القول بآية الدخان** باستثناء رواية حذيفة التي ضعفها ابن جرير نفسه، وإليك بيان ذلك من روايات ابن جرير:

١- (... عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «يَخْرُجُ الدُّخَانُ، فَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكْمَةِ، وَيَدْخُلُ فِي مَسَامِعِ الْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ، حَتَّى يَكُونَ كَالرَّأْسِ الْحَنِيذِ».

٢- ... قَالَ الْحَسَنُ: «إِنَّ الدُّخَانَ قَدْ بَقِيَ مِنَ الْآيَاتِ، فَإِذَا جَاءَ الدُّخَانُ نَفَخَ الْكَافِرُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ كُلِّ سَمْعٍ مِنْ مَسَامِعِهِ، وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَزُكْمَةٍ».

---

(٥٦) سبق تخريجه في حاشية (٤٩).

(٥٧) وهو أوسع من ناقش الآية والمروي حولها فيما رأيت. ينظر المحرر في أسباب النزول (٢/٨٧٣-٨٨٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

٣- ... عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: «يَهِيجُ الدُّخَانُ بِالنَّاسِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَأْخُذُهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزَّكْمَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَهِيجُهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ كُلِّ مَسْمَعٍ مِنْهُ»(٥٨).

٤- حَدَّثَنِي عِصَامُ بْنُ رَوَّادِ بْنِ الْجَرَّاحِ قَالَ: ثَنِي أَبِي قَالَ: ثَنَا سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّوْرِيُّ قَالَ: ثَنَا مَنْصُورُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ قَالَ: سَمِعْتُ **حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ**، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ الْآيَاتِ: الدَّجَّالُ، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنَ أَبْيَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ تَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا، وَالدُّخَانُ». قَالَ حُذَيْفَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الدُّخَانُ؟ فَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْآيَةَ ﴿**فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١**﴾ [الدخان: ١٠-١١] «يَمْلَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ يَمْكُثُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ السَّكْرَانِ يَخْرُجُ مِنْ مَنْخِرَيْهِ وَأُذُنَيْهِ وَدُبُرِهِ»(٥٩).

٥- ... عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ أَنْذَرَكُمْ ثَلَاثًا: الدُّخَانَ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَالزَّكْمَةِ، وَيَأْخُذُ الْكَافِرَ فَيَنْتَفِخُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ كُلِّ مَسْمَعٍ مِنْهُ، وَالثَّانِيَةُ: الدَّابَّةُ، وَالثَّالِثَةُ: الدَّجَّالُ»(٦٠).

ثم وجدت الشوكاني (ت١٢٥٠) رحمه الله، قال –معلقًا على ما رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس السالف الذكر-: (**وَلَكِنْ لَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ سَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ**. وَقَدْ عَرَّفْنَاكَ أَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ كَوْنِ هَذِهِ الْآيَةِ نَازِلَةً فِي الدُّخَانِ الَّذِي كَانَ يَتَرَاءَى لِقُرَيْشٍ مِنَ الْجُوعِ، وَبَيْنَ كَوْنِ الدُّخَانِ مِنْ آيَاتِ السَّاعَةِ وَعَلَامَاتِهَا وَأَشْرَاطِهَا.

فَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ صِحَاحٌ وَحِسَانٌ وَضِعَافٌ بِذَلِكَ، **وَلَيْسَ فِيهَا أَنَّهُ سَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ**، فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى التَّطْوِيلِ بِذِكْرِهَا، وَالْوَاجِبُ التَّمَسُّكُ بِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا أَنَّ دُخَانَ قُرَيْشٍ عِنْدَ الْجَهْدِ وَالْجُوعِ هُوَ سَبَبُ النُّزُولِ، وَبِهَذَا تَعْرِفُ انْدِفَاعَ تَرْجِيحِ مَنْ رَجَّحَ أَنَّهُ الدُّخَانُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، كَابْنِ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ وَغَيْرِهِ، وَهَكَذَا يَنْدَفِعُ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ

---

(٥٨) عزاه السيوطي: جلال الدين، في الدر المنثور (٤٠٨/٧) إلى عبد بن حميد، وعزاه مرفوعًا إلى ابن أبي حاتم، وذكر سنده ابن كثير (٢٤٨/٧) من طريق الحسن عن أبي سعيد. والحسن لم يدرك أبا سعيد فهو منقطع.

(٥٩) رواه ابن جرير في تفسيره (١٧/٢٢)، ولم يشهد بصحته، والبغوي: محمد الحسين بن مسعود، في تفسيره (١٧٦/٤)، وابن كثير في تفسيره (٢٤٨/٧)، وحكم على سنده بالوضع.

(٦٠) قال ابن كثير: "ورواه الطبراني (٣٤٤٠): عن هاشم بن يزيد، عن محمد بن إسماعيل بن عياش، به. وهذا إسناد جيد". ينظر: تفسير ابن كثير (٢٤٩/٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

الدُّخَانُ الْكَائِنُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، مُتَمَسِّكًا بِمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ دُخَانٌ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ فَإِنَّ هَذَا لَا يُعَارِضُ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَلَى تَقْدِيرِ صِحَّةِ إِسْنَادِهِ(٦١) مَعَ احْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ظَنَّ مِنْ وُقُوعِ ذَلِكَ الدُّخَانِ يَوْمَ الْفَتْحِ أَنَّهُ الْمُرَادُ بِالْآيَةِ، وَلِهَذَا لَمْ يُصَرِّحْ بِأَنَّهُ سَبَبُ نُزُولِهَا)(٦٢).

وهذا الذي قد وضحه الشوكاني واعتمده (ت١٢٥٠) هو ما انتهى إليه ابن جرير (ت ٣١٠) من قبلُ، فقد عاد ابن جرير (ت ٣١٠) إلى ما روى عن ابن مسعود بالترجيح، فقال: (وَأُولَى الْقَوْلَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ أَنَّ الدُّخَانَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَرْتَقِبَهُ، هُوَ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ مِنَ الْجَهْدِ بِدُعَائِهِ عَلَيْهِمْ، عَلَى مَا وَصَفَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ مِنْ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ خَبَرُ حُذَيْفَةَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَحِيحًا، وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا، فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مَعَ قَوْلِهِ الَّذِي يَصِحُّ عَنْهُ قَوْلٌ، وَإِنَّمَا لَمْ أَشْهَدْ لَهُ بِالصِّحَّةِ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ خَلَفٍ الْعَسْقَلَانِيَّ حَدَّثَنِي أَنَّهُ سَأَلَ رَوَّادًا عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، هَلْ سَمِعَهُ مِنْ سُفْيَانَ؟ فَقَالَ لَهُ: لَا، فَقُلْتُ لَهُ: فَقَرَأْتَهُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: لَا، فَقُلْتُ لَهُ: فَقُرِئَ عَلَيْهِ وَأَنْتَ حَاضِرٌ فَأَقَرَّ بِهِ؟ فَقَالَ: لَا، فَقُلْتُ: فَمِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهِ؟ قَالَ: جَاءَنِي بِهِ قَوْمٌ فَعَرَضُوهُ عَلَيَّ، وَقَالُوا لِي: اسْمَعْهُ مِنَّا. فَقَرَؤُوهُ عَلَيَّ، ثُمَّ ذَهَبُوا، فَحَدَّثُوا بِهِ عَنِّي! أَوْ كَمَا قَالَ؛ فَلِما ذَكَرْتُ مِنْ ذَلِكَ لَمْ أَشْهَدْ لَهُ بِالصِّحَّةِ!)(٦٣).

وقد علق ابن كثير على هذا السند، وعلى كلام ابن جرير هذا، فقال: (وَقَدْ أَجَادَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ هَاهُنَا، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ بِهَذَا السَّنَدِ، وَقَدْ أَكْثَرَ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ سِيَاقِهِ فِي أَمَاكِنَ مِنْ هَذَا التَّفْسِيرِ، وَفِيهِ مُنْكَرَاتٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا ...)(٦٤).



---

(٦١) سيأتي أنه لا يصح كما ذكر ذلك ابن كثير.

(٦٢) ينظر: الشوكاني: فتح القدير (٥٤٩/٤).

(٦٣) ينظر: تفسير ابن جرير (٢٠/٢١).

(٦٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٤٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

د. عبد الرحمن الصالح السليمان الدهش

المبحث الرابع:
وقت الدخان

ليس بين أيدينا من الروايات ما يعطي تحديدًا زمنيًّا لهذا الدخان، ولكن في قصة ابن مسعود، وردِّه كلام القاص ما يشعر أنه يحكي واقعًا لم يشهده، ولم يحضر تفاصيله، فحينما قال: «إِنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ»، ثم قال: «فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ حَتَّى أَكَلُوا العِظَامَ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الجَهْدِ»، ثم قَالَ: «فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَسْقِ اللَّهَ لِمُضَرَ، فَإِنَّهَا قَدْ هَلَكَتْ»، «فَاسْتَسْقَى لَهُمْ فَسُقُوا»، «فَلَمَّا أَصَابَتْهُمُ الرَّفَاهِيَةُ عَادُوا إِلَى حَالِهِمْ حِينَ أَصَابَتْهُمُ الرَّفَاهِيَةُ»(٦٥).

فهذه أمور ينقلها ابن مسعود رضي الله عنه بضمير الغيبة، ولو كان في مكة معهم لكان النقل يأتي بضمير المتحدث عن نفسه وعمن كان معه، «فأصابنا قحط وجهد ... فلما أصابتنا الرفاهية»، وحيث لم يقل كذا –وهو حدث اشتد كربه وطالت مدته– دلَّ على أنه لم يكن شاهد عيان، بل كان بعيدًا عن الحدث في مكة، وإنما يذكر ما انتهى إليه علمه، ويرى أن ذلك هو الموافق للآيات في سورة الدخان.

ويؤيد هذا ويوضحه أن ما حل بأهل مكة هو نوع من العذاب بنص الآية: ﴿ **يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿١١﴾ ﴾، وقد ضمن الله لهذه الأمة ألا يعذبهم ورسول الله فيهم، فقال قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ** ﴾ [سورة الأنفال: ٣٣]، إذن هذا الحدث يتعين أنه حصل بعد هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ومكة لا تزال بلد شرك في أيدي الكفار بُعَيد الهجرة قبل غزوة بدر، المهم أنه قبل فتح مكة، أو يوم فتح مكة على اختلاف الأقوال(٦٦).

وفي طبقات ابن سعد: عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ بِمَكَّةَ دُخَانٌ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ** ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الدخان: ١٠](٦٧).

---

(٦٥) سبق تخريجه في حاشية (٣٩).

(٦٦) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير (٢٥/٢٨٧).

(٦٧) ينظر: ابن سعد: محمد بن سعد، الطبقات الكبرى (٢/ ١٠٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

وفي تفسير ابن كثير قال: (وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُسَافِرٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعة، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجُ فِي قَوْلِهِ: ﴿...يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾، قَالَ: كَانَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ! وَهَذَا الْقَوْلُ غَرِيبٌ جِدًّا بَلْ مُنْكَرٌ)(٦٨).

المبحث الخامس:

نوع الخلاف في المراد بالدخان

الناظر فيما ذكر من الخلاف في الدخان يجد قولين متباينين، فنحن بين قول من يقول: قد وقع هذا الدخان، وقول من يقول: إنه لم يقع!

فالخلاف حقيقي على غير الغالب، قال شيخ الإسلام (ت٧٢٨): (وغالب ما يصح عنهم –السلف– من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد)(٦٩).

وقد حاول الشيخ ابن سعدي (ت ١٣٧٦) رحمه الله الجمع بين القولين، فعمد إلى تقسيم الآية إلى قسمين، فقال: (وفي الآية احتمال أن المراد بقوله: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الدخان: ١٠] أن هذا كله يكون يوم القيامة، وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الدخان: ١٦] أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم، وإذا نُزلت هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك، بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة، وهذا الذي يظهر عندي ويترجح، والله أعلم)(٧٠).

هكذا استظهر هذا الوجه رحمه الله وأثنى عليه، بل رجحه كما ترى، وهو تشتيت لآيات في سياق واحد، لم أر من سبقه إليه!

---

(٦٨) ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٢٤٧/٧)، وأغرب الألوسي (ت١٢٧٠) رحمه الله حينما وجه قول من جعل الدخان يوم فتح مكة، فقال: "ويحسن على هذا القول أن يكون كناية عما حل بأهل مكة في ذلك اليوم من الخوف والذل ونحوهما!"، روح المعاني (١١٨/٢٥).

(٦٩) ينظر: ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (ص٣٨).

(٧٠) ابن سعدي: تفسير السعدي (١٦٢٦/٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

د. عبد الرحمن الصالح السليمان الدهش

قال الألوسي (ت١٢٧٠): (وحمل ما في الآية على ما يعم الدخانين لا يخفى حاله!)[٧١].

المبحث السادس:

العجيب في تفسير الآيات

١- رَكَّبَ بعض الرواة عَلَى آيات سورة الدخان حَدِيثَ أنس بن مالك ﵁ فِي الِاسْتِسْقَاءِ: «أَنَّ رَجُلاً جَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ والنبي ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الزَّرْعُ وَالضَّرْعُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا؛ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا ثَلَاثًا، وَمَا يُرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةُ سَحَابٍ، فَتَلَبَّدَتِ السَّمَاءُ بِالسَّحَابِ وَأُمْطِرُوا مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ حَتَّى سَالَتِ الْأَوْدِيَةُ، وَسَالَ وَادِي قَنَاة شَهْرًا، فَأَتَاهُ آتٍ فِي الْجُمُعَةِ الْقَابِلَةِ هُوَ الْأَوَّلُ أَوْ غَيْرُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَقَطَّعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُمْسِكَ الْمَطَرَ عَنَّا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، فَتَفَرَّقَتِ السُّحُبُ، وخرجنا نمشي في الشمس»[٧٢].

فقد جاء حديث ابن مسعود في رواية البيهقي متداخلاً في بعض ألفاظه مع حديث أنس السابق في قصة استسقاء النبي ﷺ يوم الجمعة على المنبر، ولفظه: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «لَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا، قَالَ: اللهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ، حَتَّى أَكَلُوا الْمَيْتَةَ، وَالْجُلُودَ، وَالْعِظَامَ، فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ وَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ بُعِثْتَ رَحْمَةً، وإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللهَ لَهُمْ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسُقُوا الْغَيْثَ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ سَبْعًا، فَشَكَا النَّاسُ كَثْرَةَ الْمَطَرِ، فَقَالَ: اللهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، فَانْحَدَرَتِ السَّحَابَةُ عَنْ رَأْسِهِ فَسُقِيَ النَّاسُ حَوْلَهُمْ»[٧٣].

وقد حاول ابن حجر (ت٨٥٢) الجمع بين الحديثين بأنهما واقعتان مختلفتان، وهذا حق يجب القول به، ولكنه رد على من زعم أن حَدِيثًا دخل فِي حَدِيثٍ، واستبعد قول من جعل شَكْوَى كَثْرَةِ الْمَطَرِ، وَالدعاء بقول: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا» أنها فِي قِصَّةِ قُرَيْشٍ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي الْقِصَّةِ الَّتِي رَوَاهَا أَنَسٌ!

---

(٧١) ينظر: الألوسي: روح المعاني (١١٨/٢٥).

(٧٢) أخرجه البخاري: في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط (٣٠/٢)، رقم (١٠٢٠)، ومسلم: في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء (٦١٢/٢)، رقم (٨٩٧).

(٧٣) أخرجه البيهقي: في دلائل النبوة (٢/ ٣٢٦)، والسنن الكبرى (٣٥٢/٣/ ٦٦٥٨)، والحديث في البخاري بلفظ آخر (١١٤/٦/ ٤٧٧٤).

جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

وقال: (لَا مَانِعَ أَنْ يَقَعَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ ... بَلْ قِصَّةُ أَنَسٍ وَاقِعَةٌ أُخْرَى ... فَهُمَا قِصَّتَانِ وَقَعَ فِي كُلٍّ مِنْهُمَا طَلَبُ الدُّعَاءِ بِالِاسْتِسْقَاءِ ثُمَّ طَلَبُ الدُّعَاءِ بِالِاسْتِصْحَاءِ ...)(٧٤).

قلت: والمقصود أن ما ثبت في حديث أنس في الاستسقاء على المنبر ليس هو الذي ذكره ابن مسعود في روايته، وإن توافقا في بعض جملة.

قال ابن عاشور (ت١٣٩٣): (وَالْجَمْعُ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ ظَاهِرٌ. وَيَظْهَرُ أَنَّ هَذَا الْقَحْطَ وَقَعَ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ، فَهُوَ قَحْطٌ آخَرُ غَيْرُ قَحْطِ قُرَيْشٍ الَّذِي ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ)(٧٥).

٢- قال الماوردي: في تفسير (قوله ﷻ: ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢﴾ [سورة الدخان: ١٢]. فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الدخان، قاله قتادة.

الثاني: الجوع: قاله النقاش.

الثالث: **أنه الثلج، وهذا لا وجه له؛ لأن هذا إما أن يكون في الآخرة، أو في أهل مكة، ولم تكن مكة من بلاد الثلج غير أنه مقول فحكيناه**(٧٦).

قال الكرماني (ت٥٠٥): العجيب: هو الثلج، حكاه الماوردي، وأنكره)(٧٧).



---

(٧٤) ينظر: ابن حجر: فتح الباري (٥١١/٢، ٥١٢)، ويلحظ أن ابن حجر حاول إبقاء لفظ الحديثين، وعدم تغليط الرواة بشيء مع قوله بتعدد القصة، وهو منهج جيد، ولا يمنع من دراسة الروايات دراسة حديثية، لا سيما مع قوله بتكرر الاستصحاء.

(٧٥) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٨٨).

(٧٦) ينظر: الماوردي: النكت والعيون (٥/ ٢٤٧).

(٧٧) ينظر: الكرماني: أبو القاسم محمود بن حمزة، غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ١٠٧٥)، وقد ذكر الكرماني في نهاية الكتاب (١٤١٣/٢)، فقال: "وكل ما وصفته بالعجيب ففيه أدنى خلل ونظر".

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

د. عبد الرحمن الصالح السليمان الدهش

المبحث السابع:
إبراز بعض القواعد التفسيرية في هذه الآيات

خلال دراسة المقطع السابق مرت في ثنايا البحث قضايا ممكن أن تدرج تحت قواعد تفسيرية، أو على أقل أحوالها هي ضوابط، فإبرازها هو تأصيل لمسائل البحث، ودراسة تطبيقية لهذه القواعد أو الضوابط، وقد رصدت خلال البحث عدة أمور في هذا المجال جعلتها في مطالب.

المطلب الأول: العام الذي أريد به الخصوص

مبحث العام هو من المباحث المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه، ثم في داخل هذا المبحث يبحث العام الباقي على عمومه، والعام الذي يراد به الخصوص، وكذا العام المخصوص، وكلها واقعة في القرآن الكريم، وإن كان تخصيص العام أكثر من كونه عامًا مرادًا به الخصوص، ولكل أمثلة(٧٨):

ففي قوله تعالى ﴿**يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١**﴾ [سورة الدخان: ١١] كان من مرجحات من جعل الدخان ما يكون في آخر الزمان هو عموم الناس في قوله: (يغشى الناس)، والدخان الذي وقع إنما غشي مشركي مكة، **فهو عام لكنه أريد به الخصوص** على ما ترجح في معنى الآية، وهذا لون من أساليب العرب، وهذا أحد أمثلتها في القرآن الكريم، قال أبو عبيدة (ت٢١٠): (ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع الذي له واحد منه، ووقع معنى هذا الجميع على الواحد، قال: ﴿**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ**﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣]، والناس جميع، وكان الذي قال رجلاً واحدًا)(٧٩).

---

(٧٨) ينظر: السيوطي: الإتقان، (١٤١٢/٤)، والرازي: المحصول، (١١/٣)، والوهبي: فهد، المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه (ص٤٧٠).

(٧٩) ينظر: أبو عبيد: مجاز القرآن، (٩/١)، والطبري: تفسير الطبري (٥٣١/٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

وقال عند تفسير الآية في سورة آل عمران: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣] وقع المعنى على رجل واحد، والعرب تفعل ذلك، فيقول الرجل: فعلنا كذا وفعلنا، وإنما يعنى نفسه، وفى القرآن: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة القمر: ٤٩] والله هو الخالق)(٨٠).

وبهذا يتبين أن حمل الآية على العموم الذي يراد به الخصوص حمل صحيح، والقرينة قائمة على صحته، وأعظمها سياق الآية على ما تقدم.

المطلب الثاني: الحقيقة مقدمة على المجاز(٨١).

المراد بهذه القاعدة أنه متى أمكن حمل اللفظ على أصل معناه فلا يجوز نقله إلى غيره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَمَنْ قَسَّمَ الْكَلَامَ إلَى حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْكَلَامِ هُوَ الْحَقِيقَةُ ... وَإِذَا عُرِفَ أَنَّ لِلَّفْظِ مَدْلُولِينِ: حَقِيقِيًا وَمَجَازِيًا، فَالْأَصْلُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ)(٨٢).

وقد أبدى وأعاد الرازي في تفسيره في تقرير هذه القاعدة، ونقل الإجماع على ذلك، فقال: (وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ صَرْفُ الْكَلَامِ إِلَى الْمَجَازِ إِلَّا بَعْدَ تَعَذُّرِ حَمْلِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ)(٨٣).

وفي الآيات محل البحث ذكر هذه القاعدة في أوجه من جعل الدخان ما يكون في آخر الزمان، فقال: (واحتج القائلون بهذا القول بِوُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الدخان: ١٠] يَقْتَضِي وُجُودَ دُخَانٍ تَأْتِي بِهِ السَّمَاءُ، وَمَا ذَكَرْتُمُوهُ مِنَ الظُّلْمَةِ الْحَاصِلَةِ فِي الْعَيْنِ بِسَبَبِ شِدَّةِ الْجُوعِ فَذَاكَ لَيْسَ بِدُخَانٍ أَتَتْ بِهِ السَّمَاءُ، **فَكَانَ حَمْلُ لَفْظِ الْآيَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ عُدُولاً عَنِ الظَّاهِرِ، لَا لِدَلِيلٍ مُنْفَصِلٍ، وَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ.**

---

(٨٠) ينظر: أبو عبيد: مجاز القرآن (١/١٠٨).

(٨١) الخلاف في وقوع المجاز قديم ومشهور، انتصر شيخ الإسلام وتبعه ابن القيم للقول بمنعه مطلقًا، وتأتي هذه القاعدة على القول بوقوعه.
ينظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٩٦/٧ وما بعدها)، وابن القيم: مختصر الصواعق (٢٤١/٢)، والشنقيطي: رسالة منع المجاز.

(٨٢) ينظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٧٣).

(٨٣) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب (٣٠/ ٦١٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

الثَّانِي: أَنَّهُ وَصَفَ ذَلِكَ الدُّخَانَ بِكَوْنِهِ مُبِينًا، وَ**الْحَالَةُ الَّتِي ذَكَرْتُمُوهَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا عَارِضَةٌ تَعْرِضُ لِبَعْضِ النَّاسِ فِي أدمغتهم، ومثل هذا لا يوصف بكونها دُخَانًا مُبِينًا.**

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ وَصَفَ ذَلِكَ الدُّخَانَ بِأَنَّهُ يَغْشَى النَّاسَ، وَهَذَا إِنَّمَا يَصْدُقُ إِذَا وَصَلَ ذَلِكَ الدُّخَانُ إِلَيْهِمْ، وَاتَّصَلَ بِهِمْ، **وَالْحَالُ الَّتِي ذَكَرْتُمُوهَا لَا تُوصَفُ بِأَنَّهَا تَغْشَى النَّاسَ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْعُدُولَ مِنَ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ لَا يَجُوزُ إِلَّا لِدَلِيلٍ مُنْفَصِلٍ** ... .

أَمَّا الْقَائِلُونَ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي صَرْفَ اللَّفْظِ عَنْ حَقِيقَتِهِ إِلَى الْمَجَازِ، وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ إِلَّا عِنْدَ قِيَامِ دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حَمْلَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ مُمْتَنِعٌ، وَالْقَوْمُ لَمْ يَذْكُرُوا ذَلِكَ الدَّلِيلَ، فَكَانَ الْمَصِيرُ إِلَى مَا ذَكَرُوهُ مُشْكِلاً جِدًّا ...).

ثم قبل إنهاء البحث عاد والتمس لهذا القول – وهو قول من جعل الدخان الذي أصاب قريشًا- دليلاً يجعلنا **نحمل الآية على مجازها**، فقال:

(فَإِنْ قَالُوا: الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مَا ذَكَرْنَاهُ، أَنَّهُ تَعَالَى حَكَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿**رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ** ١٢﴾ [سورة الدخان: ١٢] وَهَذَا إِذَا حَمَلْنَاهُ عَلَى الْقَحْطِ الَّذِي وَقَعَ بِمَكَّةَ اسْتَقَامَ، فَإِنَّهُ نُقِلَ أَنَّ الْقَحْطَ لَمَّا اشْتَدَّ بِمَكَّةَ مَشَى إِلَيْهِ أَبُو سُفْيَانَ، وَنَاشَدَهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ، وَأَوْعَدَهُ أَنَّهُ إِنْ دَعَا لَهُمْ وَأَزَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ تِلْكَ الْبَلِيَّةَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، فَلَمَّا أَزَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ذَلِكَ رَجَعُوا إِلَى شِرْكِهِمْ)[٨٤].



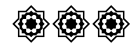
(٨٤) ينظر: الرازي: تفسير الرازي (٢٧/ ٦٥٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

المطلب الثالث: مراعاة السياق أصل معتبر في تفسير كلام الله تعالى(٨٥)

والمراد بالسياق ما قبل الآية وما بعدها، وهو ما قصده مسلم بن يسار البصري رحمه الله(٨٦) في قوله: (إِذَا حَدَّثْتَ عَنِ اللَّهِ حَدِيثًا فَقِفْ حَتَّى تَنْظُرَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ)(٨٧).

وعلم بهذا أن للآية قبلاً وبعدًا، أي: سباقًا – بالموحدة – ولحَاقًا، وبمجموعهما يحصل السياق – بالمثناة التحتية–، فكأن السياق بهذا يكون أعم)(٨٨).

ومن جميل ما ينقل في أهمية السياق كلام ابن القيم (ت ٧٥١) رحمه الله حيث عدد دلالات السياق وأنواعها، فقال: (السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ  ﴾ [سورة الدخان: ٤٩] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير؟)(٨٩).

وقد اعتمد ابن مسعود رضي الله عنه دلالة اللحاق (السياق) في ترجيح ما ذهب إليه من أن الدخان في الآيات هو ما وقع زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أضاف ابن جرير (ت٣١٠) رحمه الله دلالة السباق – بالموحدة- على ما تقدم، فاجتمع من السباق – بالموحدة–، واللحاق دلالة السياق.

قال أبو السعود (ت ٩٨٢): (... وهو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعًا ...)(٩٠).

۞۞۞

(٨٥) مراعاة السياق قاعدة تفسيرية جليلة لها تطبيقات كثيرة، وربما صيغت بأساليب أخرى إلا أنها تنتهي إلى هذا المعنى، ينظر: الحربي: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٢٥)، والدهش: الأقوال الشاذة في التفسير (ص ٢٧٥).

(٨٦) هو مسلم بن يسار، أبو عبد الله البصري، تابعي ثقة، زاهد، توفي في خلافة عمر بن العزيز سنة ١٠٠هـ، ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب (١٠/١٤٠)، والذهبي: سير أعلام النبلاء (٤/٥١٠).

(٨٧) ينظر: أبو عبيد: فضائل القرآن (ص٢٢٩)

(٨٨) ينظر: الكفوي: الكليات، (٥٠٨)

(٨٩) ينظر: ابن القيم: بدائع الفوائد (٤/ ٩)

(٩٠) بنظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم (٥/ ٥٥٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

المطلب الرابع: الفرق بين القول المجرد والقول المربوط بالآية(٩١)

مما يستوقف القارئ في كتب التفاسير عمومًا أن يربط المفسر الآية بقول قد قيل لمناسبة أو أخرى، أو حتى حديث يروى في موضوع يحاكي الآية، ويكاد يلامس ألفاظها إلا أن النبي ﷺ لم يربط ذلك بالآية، ولم يتلُها كما في أحاديث أخرى، مع أن الحاجة داعية لذلك، فهل تعدّ هذه الأحاديث وتلك الأقوال تفسيرًا للآية؟

أورد ابن جرير (ت٣١٠) في تفسير سورة البروج الحديث الطويل المشهور بسنده في قصة الملك الكافر مع الغلام الذي أسلم ثم لما أراد الملك قتله وأعياه ذلك قال له الغلام: خذ سهمًا من كنانتي فارمني به، وقل: بسم رب الغلام؛ فإنك ستقتلني! ففعل الملك فقتله، حينها قال الناس: آمنا برب الغلام! فوقع ما يخشاه الملك، فحفر أخاديد، وأضرم فيها النيران، فجعل يلقي الناس فيها(٩٢)!

أورده ابن جرير بطوله، وليس في سياقه ذكر لآيات السورة، ثم لما جاء إلى الترجيح في المراد بقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ٤﴾ [سورة البروج: ٤] رجح أن الآية في قوم كفار، لما أرادوا قتل المؤمنين أحرقهم الله بنار الحريق في الدنيا، ولهم عذاب جهنم في الآخرة، ونجّى الله المؤمنين بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار، وهذا هو الموافق لرواية الربيع بن سليمان التي ساقها بسنده، والتي فيه ربط القصة بالآيات(٩٣).

وفي الآيات محل البحث وقف الشوكاني (ت١٢٥٩) رحمه الله وقفة وضعت النقاط على الحروف في المروي عن النبي ﷺ في شأن دخان آخر الزمان، وكذلك ما روي عن ابن عباس وغيره في ذلك، وخلاصة ما انتهى إليه كما تقدم أن تلك المرويات تأخذ مسارها فيما صح منها في إثبات دخان آخر الزمان، وأنه واقع لا محالة.

وأما الدخان المتوعد به كفار قريش فإنه قد وقع وانتهى أمره، وهو موضوع آيات الدخان في سورة الدخان على ما سبق في دلائل ذلك.

---

(٩١) ينظر: الطيار: فصول في التفسير (ص٢٨).

(٩٢) ينظر: الطبري: تفسير الطبري (٢٤/٢٧٣)، والحديث أخرجه مسلم: في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (٤/ ٢٢٩٩)، رقم (٣٠٠٥).

(٩٣) ينظر: الطبري: تفسير الطبري (٢٤/٢٧٦، ٢٧٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

المبحث الثامن:
من هدايات الآيات

يطول المقام، ويكثر الكلام لو أردنا ذكر هدايات الآيات والفوائد التي تستنبط منها، إلا أن تتميم البحث يستدعي ألا يخلو من شيء منها مما أصوغه بعد نقله، أو أقوله بعد صياغته، وأسأل الله التوفيق، وأعوذ به من فتنة القول والعمل.

١- أن الأوصاف تطلق على ما يبدو للإنسان ويتراءى له، وإن كانت حقيقتها غير ذلك، وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ على ما اختاره ابن مسعود في معنى الآية، كيف وقد وصفه الله بقوله (مبين)؟

وقريب منه قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [سورة الكهف: ٨٦]، أي: باعتبار الناظر لها فهي تغرب في عين ماء حارة، أو في طين أسود(٩٤).

٢- عظم شأن الإيمان في إجابة الدعاء، وأنه مؤثر -وإن كان الحامل له الضرورة- لقوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الدخان: ١٢] مع قوله: ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة الدخان: ١٥].

٣- في قوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [سورة الدخان: ١٣]. علم الله برجوع الداعي إلى سيّئ حاله لا يمتنع في حكمته إجابة سؤاله في الحاضر، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٥].

٤- أن من العلم ما لا ينفع صاحبه بل يكون حجة عليه، فالمشركون أدركوا أثر الإيمان في رفع البلاء، وعاينوا هذا الأثر ومع ذلك عادوا إلى كفرهم، مع اعترافهم بربوبية الله.

---

(٩٤) ينظر: الطبري: تفسير ابن جرير (١٥/٣٧٥)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

٥- أن مجيء الرسول ﷺ بالآيات الشرعية المبينة أعظم من الآيات الكونية المؤقتة، فمن لم ينتفع بها فانتفاعه بما دونها مستبعد، كما قال تعالى: ﴿ **أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ** ﴾ [سورة الدخان: ١٣] أي: يبعد تذكرهم وقد جاءهم رسول مبين!

٦- أن إزالة الكرب وكشف العذاب ليس دليلاً على رضا الله عن العباد، ومن لازمه أنه ليس دليلاً على تغير حالهم إلى الأحسن، بل قد يكشف العذاب استدراجًا لهم، وإقامة للحجة عليهم، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾** ﴾ [سورة الدخان: ١٥].



مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، فقد تمت من البحث صفحاته، ولم تنقضِ من الباحث مراداته، وهذه سمة الجهود البشرية، يقضى منها ولا تنقضي، وفي ختام هذا البحث توصلت إلى عدة نتائج وتوصيات، يمكن إظهارها كما يلي:

أولًا النتائج:

- أن علم التفسير كغيره من العلوم فيه مسائل لم تأخذ نصيبها الكافي من البحث والتحقيق في مظانها من كتب التفسير.
- من خلال البحث تبين أن القول بأن المفسر له هدف أعم وهو إتمام التفسير، أدى إلى عدم دراسة وإفراد بعض المسائل بالبحث بشكل مستقل.
- تبين من خلال البحث أن إنكار القول وتخطئته لا تعني مصادرته، والوقوع في قائله ذمًا، فابن مسعود رضي الله عنه يعطي منهجًا في نشر القول الصحيح بحجته، ويبرِئ ذمته فلما نقل له قول القاص في تفسير الدخان، وأنه ما يكون في آخر الزمان، ثم وصف الرجل الناقل لما حصل بقوله: «تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلاً يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ»، كل هذه لم تحمل ابن مسعود على استدعاء ذلك القاص، ولا منعه من التحديث، واستعداء ولي الأمر عليه، وكان بإمكانه ذلك، وهو كما قال عمر رضي الله عنه لأهل الكوفة لما بعثه مع عمار: «بعثت إليكم عمارًا أميرًا، وابن مسعود معلمًا، ووزيرًا»[٩٥]. كل هذه يتجاوزها ابن مسعود رضي الله عنه ليقيم لأصحابه منهجًا يسيرون عليه، «إِنَّ مِنَ العِلْمِ أَنْ تَقُولَ لِمَا لَا تَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ، إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [ص: ٨٦]». **فأفضل طريق للهدم هو البناء** ببيان القول الصحيح بدليله وتعليله.

(٩٥) سبق تخريجه في حاشية (١١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

التوصيات:

- أن إفراد بعض المسائل بشيء من البحث وإن صغرت يعطيها قوة، ومجالاً للتوسع فيها، وهي طريقة قديمة تنبه لها بعض العلماء[٩٦]. وهذا ما ينبغي أن يتوجه له لباحثون، بشكل دقيق.
- أن كثيرًا من الآراء والأقوال ذكرت في كتب التفسير ولم تأخذ حقها من التمحيص والتدقيق، وفي دراسة المسائل بشكل مستقل تبيين لهذه الآراء من حيث صحة نسبتها إلى أصحابها، وتوجيهها، وهذا ما يوصي به الباحث بأن يكون ميدانًا للباحثين، ومرتعًا للمحققين، ببيان هذه الأقوال والآراء بيانًا شافيًا.

هذا وأسأل أن يبارك في صواب ما قلت، وأن يغفر خطأ ما تجاوزت.

(٩٦) ينظر مثلاً: ابن الأنباري (ت٣٢٨): مسألة في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾، وأبو شامة: نور المسرى في تفسير آية الإسراء، (ت٦٦٥)، وابن تيميّة: تفسير آيات أشكلت (ت٧٢٨)، و ابن ناصر الدين الدمشقي (ت٨٤٢): مجالس في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

Abstract

Search Title: Ayat al-dukhan (verses of dukhan) Analytical Explanatory Study.

Researcher: Dr. Abdui-rahman Al-Salih Al-sulaiman Al-Dahsh

The research dealt with the interpretation of the verses of Surat Al-Dukhan, and the meaning of smoke (Al-Dukhan) was explained in the language and the Qur'an, and the reason for the revelation of the verse, and the sayings which were mentioned in the meaning of smoke (Al-Dukhan), and the time of smoke (Al-Dukhan) which mentioned in the verse, and the sayings which were mentioned in what is meant by smoke (Al-Dukhan), and the strangeness was explained in the interpretation, and I mentioned the rules related to the interpretation of these verses, then the goals of these verses, and the research concluded with the most important results, then an index of topics.

Keywords: smoke (Al-Dukhan), rules, strange, reason, descent.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

فهرس المصادر والمراجع

١. ابن أبي خيثمة: أبو بكر أحمد بن زهير، كتاب العلم، ت: الألباني، المكتب الإسلامي.

٢. ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد، المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ١٤٠٩هـ.

٣. ابن أبي عاصم: أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني، الآحاد والمثاني، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١م.

٤. ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٥. ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق : طاهر أحمد الزواوي ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت .

٦. ابن الحجاج: مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي.

٧. ابن القيم: شمس الدين محمد بن أبي بكر، مختصر الصواعق، دار الندوة الجديدة، بيروت– لبنان.

٨. ابن تيميّة: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع ابن قاسم الحنبلي، ط. مجمع الملك فهد.

٩. ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البُستي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: ابن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

١٠. ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ – ١٤١٥هـ.

١١. ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني ، تهذيب التهذيب، دار الفكر– بيروت.

١٢. ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني ، فتح الباري، ط. دار الفكر.

١٣. ابن حنبل: أحمد بن محمد، المسند تحقيق: الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٤. ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق، صحيح ابن خزيمة، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت.

١٥. ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية.

١٦. ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر.

١٧. ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية– قطر.

١٨. ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر.

١٩. ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم، تفسير غريب القرآن، دار ومكتبة الهلال– بيروت.

٢٠. ابن كثير: إسماعيل بن عمر، النهاية في الفتن والملاحم، دار الكتب العلمية.

٢١. ابن كثير: إسماعيل بن عمر، النهاية في الفتن والملاحم، دار الكتب العلمية.

٢٢. ابن كثير: إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق السلامة.

٢٣. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر– بيروت.

٢٤. أبو السعود، إرشاد العقل السليم (تفسير أبي السعود)، دار الفكر.

٢٥. أبو عبيد: القاسم بن سلام: مجاز القرآن، مؤسسة الرسالة.

٢٦. أبو عبيد: القاسم بن سلام، غريب الحديث، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٧. أبو عبيد: القاسم بن سلام، مجاز القرآن، لأبي عبيدة، مؤسسة الرسالة.

٢٨. الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ت: عبدالسلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢٩. الألوسي: روح المعاني، دار إحياء التراث.

٣٠. الإمام مالك: مالك بن أنس، الموطأ، برواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، الطبعة: الثانية، مَزِيَدة منقحَة.

٣١. البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار طوق النجاة.

٣٢. البغوي: محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي: دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط،١، ١٤٢٠ هـ

٣٣. البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي: للبيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ١٣٤٤ هـ.

٣٤. البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية– بيروت.

٣٥. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، ، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية– بيروت.

٣٦. الجريوي: د. زهرة، تفسير الصحابة، جمعية (تبيان).

٣٧. الحاكم: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، هـ١٤١١ – ١٩٩٠م.

٣٨. الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، دار القاسم.

٣٩. الدهش، الأقوال الشاذة في التفسير، سلسلة إصدارات الحكمة.

٤٠. الذهبي: محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤١. الذهبي: محمد بن أحمد، معرفة القراء الكبار، مؤسسة الرسالة.

٤٢. الرازي: محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي.

٤٣. الرازي: محمد بن عمر، المحصول في أصول الفقه، تحقيق: طه العلواني، ط. جامعة الإمام.

٤٤. السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن الجوزي.

جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

٤٥. السفاريني: محمد، لوامع الأنوار البهية، ط الثانية، ١٤٠٢هـ.
٤٦. السيوطي: جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ط. مجمع الملك فهد.
٤٧. السيوطي: جلال الدين، الدر المنثور، دار الفكر– بيروت.
٤٨. السيوطي: جلال الدين، لباب النقول في أسباب النزول، نشر دار إحياء العلوم، بيروت. ط٣.
٤٩. الشايع: أ. د. محمد الشايع، أسماء سور القرآن الكريم، دار كنوز أشبيليا.
٥٠. الشايع: أ.د. محمد الشايع، المكي والمدني في القرآن الكريم، للشايع، مكتبة الملك فهد الوطنية.
٥١. الشوكاني، فتح القدير، تحقيق: عبدالرحمن عميرة –دار الوفاء.
٥٢. الصنعاني: عبد الرزاق، تفسير القرآن، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٥٣. الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ١٤٠٤هـ– ١٩٨٣م.
٥٤. الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر.
٥٥. الطحاوي: شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ، ١٤٩٤م.
٥٦. الفاكهي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.
٥٧. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة.
٥٨. القاسمي، محاسن التأويل، دار إحياء الكتب العربية.
٥٩. الكرماني: أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر. غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
٦٠. للراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم– دمشق.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ص ص ٢٩١٦ – ٢٩٥٥ (رجب ١٤٤٣هـ /مارس ٢٠٢٢م)

٦١. الماوردي: النكت والعيون (تفسير الماوردي)، مكتبة المؤيد – الرياض.

٦٢. المزيني: د. خالد، المحرر في أسباب نزول القرآن، دار ابن الجوزي.

٦٣. الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٦٤. الوابل: يوسف، أشراط الساعة، دار ابن الجوزي: ١٤٢٣هـ.

٦٥. الوهبي: فهد، المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه، فهد الوهبي، مركز تفسير.